القاعدة الثانية عشرة

في كونه الباري متكلما بكلام ازلي

ولما لم نجد في الملة[٢] الاسلامية من يخالفنا في كون الباري تعالى متكلماً بكلام قدمنا هذه المسئلة وان جرت العادة بتقديم المسئلة الاخيرة ولم يخالفنا في ذلك الا الفلاسفة والصابية ومنكرو النبوات وطرق متكلمي الاسلام تختلف[٤]

فطريق الاشعرية ان قالوا دل العقل على كون الباري تعالى حياً والحي يصح منه ان يتكلم ويامر وينهى كما يصح منه[٥] ان يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر فلو لم يتصف بالكلام ادى الى[١] ان يكون متصفاً بضده وهو الخرس والعي والحصر وهي نقايص ويتعالى عنها

والذي يمضي هذه الطريقة قولهم قد ثبت بدليل العقل انه ملك مطاع ومن حكم الملك ان يكون منه امر ونهي كما دل تردد[٢] الخلق في صنوف التغاير والحوادث[٣] والجايزات على كون الباري تعالى قادرًا عالماً دل تردد الخلق في صنوف الامر والنهي[٤] على امر الباري

---

٣) ب المسلة — ٤) ب مختلفة — ٥) ب ـ

٣٣٥ ١) ب ـ — ٢) ا برد — ٣) ب من الموادث — ٤) ب الاوامر

ونهيه وكما جرى في ملكه تقديره جرى على عباده تكليفه وكما تصرف في الموجودات الخيرية خيراً وقهراً تصرف في الموجودات الاختيارية تكليفاً وتعريفاً

وقد سلك الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني رحمه الله منهاجاً آخر فقال دلت الافعال باتقانها واحكامها على انه تعالى عالم ويستحيل ان يعلم شيئاً ولا يخبر عنه فان الخبر والعلم يتلازمان فلا يتصور وجود احدهما دون الثاني ومن لا خبر عنده عن معلومه لا يمكنه ان يخبر غيره عنه ومن المعلوم ان الباري يصح منه التكليف والتعريف والاخبار ٣٣٦ والتنبيه والارشاد والتعليم فوجب ان يكون له كلام وقول يكلف ويعرف ويخبر وينبه بذلك فاذاً ثبتت هذه الدلايل كونه متكلماً

فنقول اما ان يقال هو متكلم لنفسه او متكلم بكلام ثم ان كان متكلماً بكلام فاما ان يكون كلامه قديماً او حادثاً وان كان حادثاً فاما ان يحدث في ذاته او في محل او لا في محل ولا قايل بكونه متكلماً لنفسه من المعتزلة وغيرهم اذ لو كان يعم تعقله ازلاً وابداً ولا قايل بكلام يخلقه لا في محل لان في نفي المحل نفي الاختصاص وفيه ابطال التفرقة بين ما يقوم بنفسه وبين ما لا يقوم بنفسه ومن قال هو متكلم بكلام يحدثه في ذاته كما صارت اليه الكرامية فقد سبق الرد عليهم ومن قال هو متكلم بكلام يخلقه في محل كما صار اليه المعتزلة فقد خالف قضية العقل فان الكلام لو قام بمحل لكان المحل متصفاً به دون غيره من الفاعل وغيره كما لو تحرك متحرك

والنواهي — ٥...٥) ب - — ٦) ب -

٣٣٦ ١) ب - —

بحركة يخلقها الله لم يرجع اخص وصفها الى الفاعل وكذلك ساير الاعراض فبقي انه متكلم بكلام قديم ازلي يختص به قياماً ووصفاً وذلك ما اثبتناه

قالت الفلاسفة والصفاتية[٢] قولهم الحي يصح منه الاتصاف
٣٣٧ بالكلام لانه لو لم يتصف به لا تصف بضده وكثيراً[١] يطردون هذا الدليل في ساير الصفات وهي[٣] دعوى مجردة لا برهان عليها الا الاسترواح الى الشاهد ونحن نورد عليكم نقضاً لهذه القاعدة حتى يتبين ان اعتذاركم عن النقض اعتذارنا عن هذه الدعوى[٣] وذلك ان الحي يصح منه الاتصاف بالحواس الخمس ثم الثلث منها كالشم والذوق واللمس يصح في الشاهد ويصح وصفه بها والاتصاف بها كما يصح[٤] منه الاتصاف[٤] بالسمع والبصر والكلام ثم لم يجز طرد ذلك كله في الغايب ولا يقال انه لو[٥] لم يتصف بها كان موصوفاً بضدها بل يجب ان يقال يتعالى الحق عنها وعن اضدادها كذلك قولنا في السمع والبصر والكلام واعتذاركم ان اتصال الاجرام بتلك الحواس شرط في الشاهد كذلك اعتذارنا ان البنية واتصال الاجرام واصطكاكها شرط في الشاهد فلا يجوز ان يوصف الحي بها ولا بضدها جميعاً وكثيرا ما يكون من الصفات كمالا في الشاهد ونقصاناً[٦] في الغايب فبقيت الحجة الاولى[٧] عرية عن البرهان واما قولكم
٣٣٨ ان الرب تعالى ملك مطاع ذو امر ونهى فسلم لكنكم معاشر

---

٢) ب والصابية

٣٣٧ ١) ب زما — ٢) ب وهو — ٣) ب دعوة — ٤-٤) ب ـ — ٥) ب اذا — ٦) ب ونقصا — ٧) ب ز دعوى

المتكلمين انتم منازعون في اثبات الكلام لـه هو[1] امر ونهي على وجه يتصف به[2] اما قياماً بذاته واما قياماً بغيره فانا نقول هو ملـك مطاع ولـه امر ونهى لا على طريق قولي بل على طريق فعلي وهو تعريف المامور خبرًا ان الفعل المامور به واجب الاقدام عليـه بان يخلق له معرفة ضرورية ان الامر كذلك اما ان يتكلم بكلام يخلقه في محل او يتكلم ازلا وابـدًا بكلام[3] يسمع في حال ولا يسمع في حال فهو من احل المحال وهذا لان تصريفه تعـالى جواهر الخلايق بالفعل على وجه ينقاد له طوعاً و كرهاً لما خلقه له وقـدره فيه نازلا منزلة القول ألستم تقرون في كتابكم ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ[4] ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ثم ذلك ليس خطاباً قوليا بل تصريفاً وتسخيرا بحيث لو عبر عن تلـك الحالة من التصريف والانقياد كان ذلك امرًا بالاتيان[6] وجواباً بالطاعة لا بالعصيان[7] وعلى ذلك المنهاج سيرة العباد في البلاد وتيسيره السير[8] فيها حالة[8] لو عبر عنها بالقول لكان خطابا لهم سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً ٣٣٩ آمِنِينَ[1] و كذلك كل موجود ابدعه الباري تعالى بلا زمان وبلا مادة ولا الة بحيث لو عبر عن حال الايجاد والابداع كان ذلك امرًا بالتكون كما قال إِنَّمَا قَوْلُنَا[2] لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[3] والا فالخطاب القولي مستحيل ان يتوجه الى العدم[4] وهذا في المبـدأ

---

٣٣٨ — ١) ب وهو — ٢) ب ـه — ٣) ب ـه — ٤) ٤١,١٠ — ٥) ب غير — ٦) ب بالاتقان — ٧) ب الطغيان — ٨...٨) ب فى حاله

٣٣٩ — ١) ٢٤,١٧ — ٢) ا امرنا — ٣) ١٩,٤٢ — ٤) ب المعدوم —

كذلك[٥] نقول في حال[٦] الكمال اعني كمال حال الانسان من النبوة[٧] والرسالة او كمال حال الملائكة من الروح والواسطة[٨] فهم يصلون الى حال في النفوس الشريفة والمناسبات اللطيفة بين الارواح المجسدة المشخصة وبين الروحانيات البسيطة المجردة بحيث لو عبر عن تلك الحالة كان ذلك وحياً وتنزيلا وخطابا وسؤالا وجواباً وتقريباً[٩] وايجاباً وقالوا ايضاً لو قدر للباري تعالى كلام فلم يخلُ من احد الامرين اما ان كان من جنس كلام البشر او لم يكن فان كان لم يخل ايضاً من احد الامرين اما ان كان من جنس الكلام اللساني او من جنس النطق النفساني ويستحيل ان يكون كلامه مثل الكلام في اللسان فان ٣٤٠ هذا مركب من حروف منظومة والحروف تقطيع اصوات والاصوات اصطكاك اجرام والباري سبحنه تعالى عن ان يكون جرماً او مركباً من جرم وجسم وان قدر كلامه[١] يخلقه في محل لم يكن ذلك الكلام قولا له بل فعلًا ونحن نوافقكم في التعريفات الفعلية على ان هذا التقدير يستحيل[٢] ايضاً فان ذلك المحل اما ان يشتمل[٣] على مخارج الحروف اولا[٤] يشتمل فان اشتمل وجب ان يتحقق فيه[٥] حيوة فيكون ذا بنية[٦] وهيئة انسانية فيكون انسانا فيكون البارى تعالى متكلماً بلسان بشر فيكون قد تصور[٧] بصورة البشر فيلزم ان يقال انه يسمع بسمعه ويبصر ببصره كما نطق بلسانه وياخذ بيده

---

٥) ب ز ثم — ٦) ب حالة — ٧) ب الوحى — ٨) ب وساطة — ٩) ب تعريفا

٣٤٠ — ١) ب كلام — ٢) ب مستحيل — ٣) ب اشتمل — ٤) ب لم — ٥) فيها — ٦) ب ذاتية — ٧) ب طهر

ويمشي برجله وهذا هو الحلول الذي ذهب اليه اصحابه وان لم يشتمل على مخارج الحروف كانت اصواتاً مجردةً لا حروفاً منظومةً فلا يكون كلامه[٨] من جنس كلامنا بل الاصوات الحادثة من حفيف[٩] الشجر ودوي الماء وصوت الرعد يكون كلاماً له وذلك خلاف الكلام المتعارف فان قيل ان كلامه من جنس النطق النفساني فهو باطل ايضاً فان النطق النفسي على وجهين احدهما ما هو مأخوذ في ٣٤١ اللسان عربياً وعجمياً وغير ذلك الى ما يعلم من المعلمين فيكون ذلك تقديرات حروف في الخيال وتصويرات كلمات في الوهم ويستحيل ان يكون كلامه تعالى من جنس الماخوذات والثاني ما هو مركوز في طبيعة النفس من التمييز والتفكير بحيث يعبر عنه باللسان فيكون هو ماخوذ اللسان وذلك ايضاً مستحيل لان ذلك يقتضي ترديد الخواطر وتقليب الافكار والابتدا من مبدا والانتها الى منتهى وذلك كله محال فثبت انه لا يجوز ان يكون[١] من جنس كلام البشر وما كان خارجاً عن كلام البشر لا يجوز ان يثبت بالاستدلال على كلام البشر لان غير الجنس لا يدل على الجنس فيخرج على هذا قولكم ان كل عالم يجد من نفسه خبرا عن معلومه فان هذا وان سلم في الشاهد فكيف يستمر لكم طرده في الغايب مع تسليمكم ان الخبرين[٢] لا يتماثلان الا في اسم الخبرية[٣] وكذلك قولكم ان كل ملك مطاع يجب ان يكون صاحب امر بالتكليف فانه مسلم في الشاهد على ما ذكرنا[٤] غير مطرد في الغايب على المنهج الذي هو معتاد

---

٨) ب كلاما — ٩) ب خفيف —

٣٤١ ١) ب ز كلامه — ٢) ب الخبرين — ٣) ب الخبرية — ٤) ب ذكرناه وهو

٣٤٢ في الشاهد وهذا الالزام ليس يختص بمسئلة الكلام بل متوجه على من يجمع بين الشاهد والغايب[1] في معنى لا يشتركان فيه جنساً ومماثلة ويكون حكمه حكم من يجمع بين قرص الشمس ومنبع الماء لا في معنى يشتركان فيه جنساً ومماثلةً بل بمجرد اسم العين المطلق عليهما بالاشتراك[2]

قال المتكلمون الطريقة المختارة عندنا في اثبات الصفات الاستدلال بالدلايل التي نجدها في الشاهد فانا بالاحكام استدللنا على العلم وبوقوع الافعال على القدرة وبالاختصاص ببعض الجايزات على الارادة كذلك نستدل بالتكاليف[3] على العباد ذوي العقول والاستطاعة على ان الباري تعالى آمر ناهٍ وله الامر والنهي والوعد على اتيان المامور به والوعيد على فعل المنهي[4] عنه وهذا لا يتصور من جنس الفعل وانما يتحقق من جنس القول فيستدل بالوجوه التي في الصنايع والافعال على انه تعالى خالق وبالوجوه التي في الشرائع والاحكام على انه تعالى آمر أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ

٣٤٣ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (٥٢، ٧)[5] ووجه الاستدلال من الشرايع والاحكام ان التكليف اقتضا وطلب المامور به[1] والاقتضا قضية معقولة وراء العلم والقدرة والارادة اما وجه المباينة بينها وبين العلم ان العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به وليس في تعلقه اقتضا المعلوم بل هو تبيين وانكشاف ومن خاصيته ان يتعلق بالواجب والجايز[2] والمستحيل والاقتضا والامر لا يتعلق بالواجب والمستحيل واما وجه مباينته

---

٣٤٢ ١) ب ز بشيء — ٢) ا (في الحاشية) المحض — ٣) ب بالتكليف — ٤) ب النهي — ٥...٥) ا ـ وز ناهٍ

٣٤٣ ١) ب ز عن المامور — ٢) ب ـ

للقدرة ان القدرة صالحة للايجاد فقط وانما تتعلق بالممكن ويستوي في تعلقه[٢] كل[٣] ممكن في ذاته والاقتضا والامر والنهي[٤] لا يتعلق بكل ممكن ليحصل وجوده واما وجه مباينته الارادة ان الارادة صالحة للتخصيص ببعض الجايزات فقط وانما[٤] تتعلق بالمتجدد[٤] من جملة الممكن ويستوي في تعلقه[٢] كل متجدد متخصص والاقتضاء والطلب يختلف من[٥] جهة تجدده وقد بينا ان من الاشياء ما يراد ولا يومر به[٦] ومنها ما يؤمر به[٦] ولا يراد بل الارادة من حيث الحقيقة لا تتعلق الا بفعل المريد والامر والاقتضا لا يتعلق من حيث الحقيقة الا بفعل الغير فكيف تتحدان[٧] حقيقة وخاصية فثبت ان مدلول التكاليف من حيث[٢] الحدود والاحكام قضية وراء العلم والقدرة والارادة وذلك ما عبرنا ٣٤٤ عنه بالقول والكلام وعبر التنزيل عنه بالامر والخطاب ومن وجه اخر نقول الحركات الاختيارية التي اختصت بتصرفات الانسان ثلث حركة فكرية وهي من تصرفات عقله وفكره وحركة قولية وهي من تصرفات نفسه ولسانه وحركة فعلية وهي من تصرفات بدنه والقوى البدنية وما من حركة من هذه الحركات الا ولله فيها حكم بالامر والنهي فان الفكرية تشتمل على حجة وشبهة وصواب وخطاء وحق وباطل والقولية تشتمل على صدق وكذب واقرار وانكار وحكمة وسفه والفعلية تشتمل على خير وشر وطاعة ومعصية وصلاح وفساد وقد قام الدليل على ان الباري تعالى حكم[١] عدل وله

---

٢) ب تعلقها — ٣) ب ـه — ٤...٤) ب يتعلق المتجدد — ٥) ا ـه — ٦) ب جا — ٧) ب يتجدد

٣٤٤ ١) ابتدا ف — في الخط العتيق راجع ص ١٦١

حكم وقضية في كل حركة من هذه الحركات وذلك الحكم اما ان يكون فعلًا من الافعال واما ان يكون قولا من الاقوال واستحال ان يكون فعلًا يفعله فان كل فعل فهو مسبوق بحكمه[٢] بل ذلك الفعل دليل على حكمه[٢] وحكمه مدلول فعله وكما ان الحركات الضرورية دلت باختصاصها[٤] ببعض[٥] الجائزات دون البعض على علمه[٦] وارادته وقدرته كذلك الحركات الاختيارية دلت باختصاصها ببعض الاحكام دون البعض على حكمه وامره وقضيته وقولكم ان التصريف بالفعل نازل منزلة التكليف بالقول مسلم فيما يرجع الى افعال غير اختيارية للانسان لكن الافعال الاختيارية لما استدعت ممن له الخلق والامر حكمًا واقتضاء وطلباً فكل فعل وتصريف من الخالق[١] يدل على حكمه واقتضائه[٢] وذلك بعينه هو غرضنا ومرادنا

فنقول ذلك الفعل من وجه احكامه دل على علم الفاعل ومن وجه وقوعه دل على قدرته ومن وجه اختصاصه دل على ارادته ومن وجه تردده بين الجواز[٢] والحظر والاباحة دل على ان للبارى تعالى فيها حكماً وقضية ثم ذلك الحكم قد يكون امرًا وقد يكون نهيًا وقد يكون اباحة فقد سلمتم المسئلة من حيث منعتموها

فنقول اثبات الكلام والامر والنهي يبنى على جواز انبعاث الرسل فان من احال كونه متكلماً يلزمه ان ينكر[٤] كونه مرسلًا رسولا ومن جوز على الله تعالى ان يبعث رسولا فذلك الرسول يبلغ

---

٢) ا بحكمة — ٣) ا فعله — ٤) ا على — ٥) ف بعض — ٦) ا حكمه

٣٤٥ ١) ا الخلق — ٢) ف واقضايه — ٣) ا الوجوب — ٤) ف يجيل —

رسالات الله لا محالة ورسالاته اوامره ونواهيه وحملها على فعل يفعله
في محل بحيث يفهم[٥] من ذلك الفعل انه يريد من المكلف فعلاً ويكره ٣٤٦
فعلاً تسليم المسئلة فان تلك الارادة التي تتعلق بفعل الغير حتى يفعله
ارادة تضمنت اقتضاء وحكماً والا كانت تمنياً وتشهياً وذلك الذى
يسمى امراً ونهياً وسميتموه ارادةً و كراهية[١] فاذاً مدلول ذلك
الفعل الذي اشاروا اليه هو الذي نسميه[٢] الشرع كلاماً وامراً ونهياً
وعلى منهاج[٣] الحكم الفلسفية اذا انتهى الابداع والخلق الى غاية
تهيأت[٤] الامزجة المعتدلة لقبول النفس الناطقة التي تفكر بالروية
وتتصرف بالاختيار وكان من المختارين بهذه[٥] النفس على روية الحق
والصواب واختيار الافضل والاجتناب عن الارذل ومنهم من يتوانى
ويكسل[٦] حتى يبطل ذلك الاستعداد ويستعمله في جانب الباطل
والخطأ واختيار الارذل والاجتناب عن الافضل وجب ان يكون
من عند الحكيم حكم على هذه النفس الناطقة وهي ملتبسة[٧] في هذا
البدن الجسماني وحكم عليها وهي مفارقة له فذلك الحكم الاول
هو الذي نعنى[٨] به بانه امر ونهي وهذا الحكم الثاني[٩] هو الذي نعنى[٨]
به انه وعد ووعيد ومن نفى هذا الحكم فقد نفى كونه ملكاً
مالكاً لملكه فيكون له خلق ولا يكون له امر ويكون في جانب
المخلوق كله خيرا ولا يكون اختياراً ثم يلزم ان تكون النفوس ٣٤٧

---

٥) ف يعلم
٣٤٦ ١) ف كراهة — ٢) ا يسميه — ٣) ب ف مناهج — ٤) ف غاية — ٥) ف من هذا . سقط هنا بعض كلمات يشير اليها المعنى (من يقرى ؟)مع انه لا يوجد بياض — ٦) ب ف يتكاسل — ٧) ف ملتبسة بلباس — ٨) ف يُعنى — ٩) ب ف ـ

الناطقة كائنة فاسدة لا معاد لها ولا كمال ولا جزاء على افعالها ولا ثواب وذلك يبطل قضية الحكمة ونحن نرى من النفوس الحيوانية ما لا يتفاهم بعضها من بعض الا باحدى من الحواس الاربع وهى اللمس والذوق والشم والبصر ومنها[1] ما يتفاهم بها وبالسمع ايضاً[2] ثم منها ما يكون له مجرد الصوت من غير لحن ومنها ما يكون له مع صوته لحن ثم من اصحاب الالحان ما[3] يكون من ذوات الحروف المقطعة ومنها ما لا يكون الى ان يبلغ الامر والحال الى ترصيع[4] الكلمات من الحروف وترتيب الحروف في[5] الكلمات فيكون ذلك دلالة على ما في النفوس الناطقة وليس كل مرتبة من هذه المراتب من جنس المرتبة التي قبلها لكنها كمالات النفوس بعد كمالات الى ان تبلغ[6] الى النفس الناطقة الانسانية فيحدس منها ان مرتبتها لما كانت فوق مرتبة سائر النفوس دل ذلك على ان مرتبة النفوس الروحانية والارواح الملكية فوق مرتبة هذه النفوس في التفاهم وكما لا تكون المرتبة التى للناطقة من جنس المرتبة التي للطير والبهائم كذلك لا تكون المرتبة التي للملائكة الروحانية من جنس المرتبة التى لنا بل
٣٤٨ تكون اشرف والطف غير انا بهذا الجنس استدللنا على ذلك النوع كما استدللنا بنوع من[1] الحدس في الامور الغائبة على نوع من الحدس[2] في امور[3] الغيب الى ان يصل الكمال الى حد من الخليقة فيقف الترتيب[4]

---

٣٤٧ ١) ف ومنهم — ٢) ف ز وذلك بواسطة صوت وحرف يتصور — ٣) ا من — ٤) ب ترصيف — ٥) ب من — ٦) ف بلغ الحال

٣٤٨ ١) ا ـ — ٢) ا القدس — ٣) ف الامور — ٤) كذا ولعل الصواب « من وراء »

في المراتب[٥] فيستدل بذلك على ان امر من له الخلق[٦] والامر فوق الاوامر النطقية الانسانية[٧] والفكر العقلية وانه بوحدته[٨] فكر في معنى كل كلام ونطق وخبر واستخبار وامر ونهي ووعد ووعيد وان سمعا يسمع كلامه فوق كل[٩] سمع هو مفطور للحرف والصوت[١٠] كما ان سمعاً يسمع الحروف والصوت فوق سمع هو مجبول بمجرد الصوت فنحن اذا لم نستدل بجنس على جنس بل بجنس على ما هو فوق الجنس فبطل استرواحهم[١١] الى التقسيم الذي ذكروه

ثم نقول اقا الستم تقولون ان واجب الوجود من حيث يعطي العقل في المعقول[١٢] عاقل ومن حيث يعطي البدء في المبدأ[١٣] قادر ومن حيث يعطي النظام على اتم وجوه الكمال مريد فهلا قلتم انه من حيث يعطي النطق الروحاني للمفارقات والنطق النفساني لذوات القوالب آمر متكلم ثم هلا حملتم كلامه وامره على ما حملتم علمه وقدرته وارادته فيصير التنازع[١] واحداً بيننا ويرجع الامر الى مسئلة ٣٤٩ الصفات فما الذي عدا مما بدا[٢] وكيف اشتملت مسئلة الكلام على محال لم تشتمل عليه مسئلة العلم والقدرة عندكم

قالت المعتزلة نحن نوافقكم على ان الباري تعالى متكلم لكن حقيقة المتكلم من فعل الكلام فهو فاعل الكلام في محل بحيث يسمع ويعلم انه كلامه ضرورة لانه لو كان المتكلم من قام به

---

٥) ب ف زثم — ٦) ا ـ — ٧) ف اللسانية — ٨) ا يوخذ به — ٩) ب ف ـ — ١٠) ف ـ — ١١) ا ... كم — ١٢) ب العقول — ١٣) ف ز مبدأ

٣٤٩ ١) ف النزاع — ٢) ف عداها —

الكلام كما ذهبتم اليه وجب ان يكون كلامه اما قديماً واما حادثاً وان كان قديماً ففيه اثبات القديمين ويرجع القول الى مسئلة الصفات ومما[٢] يختص بهذه المسئلة من الاستحالة انه لو كان قديماً وهو امر ونهي لزم ان يكون كلاماً مع نفسه من غير مامور ولا منهي ومن المحال الذي لا يتمارى فيه ان القول بانا أَرْسلْنا نُوحاً إِلَى قَومِهِ[٤] ولا نوح ولا قومه[٥] اخبار[٦] عما ليس كما هو فهو مع استحالته كذب ومع كذبه محال وقوله أَخْلَعْ نَعْلَيْكَ لموسى ولا موسى ولا طور ولا الوادي المقدس طوى خطاب[٧] المعدوم والمعدوم كيف يخاطب و كذلك جميع ما في القران من الاوامر والنواهي والاخبار فوجب ان يكون الكلام يحدث عند حدوث المخاطب في الوقت الذي يصل[١] الخطاب اليه فيكون الكلام حادثا ثم اما ان يحدث في ذاته كما صارت اليه الكرامية فيكون محلًا للحوادث وذلك باطل واما ان يحدث لا في محل او في محل ولا بد من محل فانه حرف والحرف تقطيع صوت والصوت[٢] في الجسم متصور فتعين انه في جسم

قالت الاشعرية بنيتم مذهبكم على قاعدتين احديهما[٣] تسليمكم[٤] كون البارى تعالى متكلما والثانية ان حد المتكلم وحقيقته[٥] من فعل الكلام فاما الاولى[٦] فلو نازعكم الصابي[٧] والفيلسوف في كونه متكلما فما دليلكم في ذلك عليهما وعندكم الكلام فعل الباري تعالى كسائر الافعال ولا يرجع اليه حكم الكلام الا انه فاعل صانع فما

---

٣) ا وربما — ٤) ٧,٥٧ — ٥) ف قوم — ٦) ا واخبار — ٧) ف ز ع
٣٥٠ ١) ا يحصل — ٢) ف الصور — ٣) ا احدها — ٤) ف تسلكم —
٥) ب ف ز مو — ٦) ف الاول — ٧) ا الضال —

الدليل على انه متكلم اعني يوصف بمعنى[٨] يقوم بمحل اخر فما الفرق بين مذهبكم[١] وبين مذهب[٢] من قال انه يخلق[١٠] فعلًا يفهم عند ذلك انه تعالى يريد من العبد فعلًا او يكرهه[١١] وان اضيف اليه الكلام كان مجازا كما قال تعالى خطاباً للسماء والارض ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً[١] ٣٥١
٥ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ[٢] فلم يجز من حيث الحقيقة كلام هو اقتضا وامر وايجاب من الله تعالى ولا تسلم[٣] وائتمار واستيجاب من السماء والارض من حيث القول

قالوا طريقنا في اثبات كونه متكلماً هو المعجزات الدالة على صدق قول الانبياء عليهم السلم وهم الصادقون المخبرون عن الله
١٠ تعالى انه قال كذا[٤] وامر بكذا ونهى عن كذا[٤]

قيل لهم قد سددتم على انفسكم هذه الطريقة بوجوه احدها انكم زعمتم انه لو لم يبعث الله رسولا كان على العاقل البالغ في عقله وجوب معرفة الله تعالى وعلى الباري تعالى وجوب ثوابه فلو لم يبعث الله رسولا فبم كنتم تثبتون كونه متكلما والثاني مصيركم الى ان
١٥ الكلام فعل من الافعال فما[٥] دليلكم على انه فعل ذلك الفعل الخاص اذ ليس كل مقدور فهو واقع بفعل[٦] الله تعالى والثالث زعمتم في الارادة انها مخلوقة لا في محل وفي الكلام انه مخلوق في محل وفي الامرين جميعاً يرجع الحكم الاخص الى الباري تعالى فما الفرق بين البابين

---

٨) ا بوصف يقوم — ٩،٩) ب ـ — ١٠) ا مخلوق — ١١) ف ز فعلا
٣٥١ ١) ٤١,١٠ — ٢) ب ف ز كما احاما (كذا) — ٣) ب تسليم ف تسلم —
٤) ب ف كذى — ٥) ب ف ز وجه — ٦) ب بفضل

٣٥٢ ثم نقول ليس يشك العاقل ان الكلام معنى من المعاني سوا كان ذلك المعنى عبارة منظومة من حروف منظومة واصوات مقطعة او كان صفة نفسية ونطقا عقليا من غير حرف وصوت وكل معنى قائم بمحل وصف المحل به لا محالة وذلك المعنى من حيث هو مخلوق مفعول ينسب الى الفاعل ومن حيث هو معنى قام بمحل فينسب[1] الى المحل فمحل المعنى موصوف به لا محالة فالذي وصف الفاعل به هو وجه[2] حدوثه منتسباً الى قدرته حتى يقال محدث[4] والذي وصف المحل به[5] وجه[7] تحققه منتسباً الى ذاته القابلة له الموصوفة به وهذان وجهان معقولان ليس يتمارى فيهما عاقل فجعلهما وجهاً واحداً حتى يكون معنى كونه فاعلاً هو معنى كونه موصوفاً به[6] خروج عن المعقول ومكابرة العقل ولا يرتفع المعنى المعقول بالاصطلاح على ان معنى المتكلم هو الفاعل للكلام

ومما يدل على ذلك دلالة واضحة ان الكلام عند الخصم عبارة عن حروف منظومة واصوات مقطعة[7] ومن المعلوم الذى لا مراء فيه ان الصوت اعم من الكلام فان كل كلام عنده صوت وليس كل صوت كلاماً ثم الصوت اذا قام به سمي المحل مصوتا ولا يرجع حكم الصوت الى فاعل الصوت حتى[8] يقال الباري تعالى اذا خلق اصواتاً[9] في محل هو مصوت والكلام الذي هو اخص كيف يرجع حكمه[10] ٣٥٣ اليه حتى يقال هو متكلم بكلام يخلقه في محل بل يرجع حكم

---

٣٥٢ ١) ف ينسب — ٢) ب ف ز هو — ٣) ف وجب — ٤) ف ز والوجه — ٥) ا موصوف — ٦) ب ز مرقومة — ٨) ف ز لا ... للباري — ٩) ف صوتا ب صوتا — ١٠) ب ف ز الخاص

الصوت من حيث هو معنى من المعاني الى المحل ويرجع حكم الفعل من حيث هو فعل من الافعال الى الفاعل كذلك الكلام الذي هو اخص منه فيا عجبا بان صار اخص صار[1] حكمه اعم او ليست الحركة اذا قامت بمحل سمي بها متحركا سوا كانت الحركة ضرورية او اختيارية ثم اذا خصصت الحركة بان كانت اصواتاً تسمع او حروفاً تفهم او كلمات تعقل انقطع حكمها عن المحال وعاد[2] ما يجب اختصاصه بالمحل الى الفاعل الذي لا ينسب اليه الا الاعم فعرف من هذه الوجوه ان اختصاص الكلام بالمحل الذي قام به لم يبطل ومن الدليل على ذلك ان من سمع كلاماً من الغير علم[3] على القطع والبتات انه المتكلم به ولا يقف معرفة ذلك على معرفة كونه فاعلاً بل ربما لا يخطر بباله كونه فاعلاً[4] اصلاً وعن هذا انتسب[5] اليه القول فيقال قال ويقول وهو قائل وبخطاب الامر والنهي يخاطب قل ولا تقل ويفرق[6] الفارق ضرورة فرقاً معقولا بين قولهم قل وبين قولهم افعل فان مساق قولهم قل هو بعينه مساق قولهم تحرك واسكن وقم واقعد وان كان المعنى فى الموضعين مخلوقاً مكتسباً بالوجهين كما عرفت ثم رجع اخص وصف الحركة الى المحل الذي قامت به الحركة كذلك القول ينبغي ان يرجع اخص وصفه الى المحل الذي قام به[1] وهذا ٣٥٤ قاطع لا جواب عنه ونحرر هذا المعنى

وقول العرضية اعم من الكونية والكونية اعم من الحركية

---

٣٥٣ ١) ب ف عاد — ٢) ف ومحالا — ٣) ف فى الحال ب (اولا) فى المحال (ثانيا) لا محال — ٤) ب ز لكلامه — ٥) ف ينسب — ٦) ف نفرق

٣٥٤ ١) ب ف ز القول —

والحركة اعم من الصوت والصوت اعم من الحروف والحروف اعم من الكلام ثم يجب وصف المحل بكونه موصوفاً بعرض وذلك العرض بعينه كون والكون بعينه حركة والحركة بعينها صوت والصوت حرف والحرف كلام فيجب ان يوصف المحل بكونه ذا كلام ومتكلما كما وجب[٢] وصفه بكونه ذا حركة ومتحركاً ومن جعل المعنيين معنى واحداً وسمى النسبتين نسبة واحدة كان عن المعقول خارجاً[٣]

ومما يتمسك به في دفع قولهم المتكلم من فعل الكلام ان الله تعالى لو خلق في المبرسم وبعض الممرورين ان قال بلسانه قمت وقعدت لم يخل الحال من احد امرين اما ان يقال يكون المتكلم[٤] بهذه الحروف المنظومة والاصوات المقطعة هو خالقها وفاعلها فيلزم ان يكون الباري قائلاً قمت وقعدت واما ان يقال المتكلم بهذه الكلمات هو صاحب البرسام دون غيره فقد بطل قولهم ان المتكلم ليس من قام به الكلام بل من فعل الكلام دون غيره

٣٥٥ *ثم انا نلزمهم عليه*[٥] *عجائب اخر* نشرحها ها هنا فانه قد وقع الاتفاق على ان المعجزات من فعل الله تعالى غير مكتسبة لجنس الحيوان والبشر[١] ثم من المعجزات[١] ما هو نطق وقول يخلقه الله[٢] في جماد او حيوان مثل تكليم الشاة المسمومة لا تاكل مني فاني مسمومة[٢] ومثل تسبيح الحصى في يد الرسول عليه السلم وشهادته برسالته ومثل مكالمته الضب ومثل منطق الطير وتاويب الجبال يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ

---

٢) ف يوجب — ٣) ا فى الهامش وفى تيه الجهل والجاء — ٤) ا متكلما — ٥) ب نلزم عليهم

٣٥٥ ١...١) ف ـ — ٢) ف كرر من «غير مكتسبة» الى البشر — ٣) ا ف ب...م

وَٱلطَّيْرَ[٤] الى غير ذلك مما قد استفاضت الاخبار الصحيحة بها فكل ذلك فعل الله تعالى فالمتكلم عندهم من فعل الكلام فيجب ان يكون الباري تعالى متكلماً بها اذ كان فاعلًا لها وهو محال ثم ان النجارية وافقت الاشعرية على ان الباري خالق اعمال العباد فيلزمهم ان يقولوا هو قائل بقولهم متكلم بكلامهم اذ كان فاعلًا لها

ومما نلزمهم ان القادر[٥] على الحقيقة من يكون قادرا على الضدين[٦] والكلام معنى له اضداد فاذا قالوا المتكلم من فعل الكلام يلزمهم ان يقولوا الساكت من فعل السكوت[٦] حتى لو خلق سكوتًا[٧] في محل كان ساكتًا ولو خلق امرًا[٦] في محل[٦] كان آمرا ولو خلق خبرا في محل كان[٨] مخبرا ثم من الاوامر ما يكون خيرا ومنه ما يكون شرا ٣٥٦ ومن الاخبار ما يكون صدقًا ومنه ما يكون كذبًا فيلزمهم اضافة الكل الى الله تعالى وهو محال واما ما اوردوه على قدم الكلام واتحاده[١] فنفرد[٢] لهذين[٣] الاشكالين مسئلتين ونتكلم عليهما بما فيه مقنع ان شاء الله تعالى لكنا نعارضهم ها هنا بما التزموه مذهبًا

فنقول من المعلوم الذي لا مرية فيه ان النطق اللساني مركب من حروف والحروف مقطعات من اصوات وما من حرف يتفوه به الانسان وينطق به اللسان الا[٤] ويفنى[٥] عقيب ما[٥] وجد وينعدم كما[٦] يتجدد ويعقبه حرف اخر الى ان يصير مجموع الحرفين والثلاث واكثر

---

٤) ٣٤,١٥ — ٥) ب ف عندهم — ٦...٦) ف ـ — ٧) ف سكونا ... ساكنا — ٨...٨) ب ـ

٣٥٦ ١) ب واتحاده — ٢) ب ف فيفرد — ٣) ف لذين — ٤) ف ـ — ٥...٥) ف ب كما — ٦) ف ب عقيب ما —

كلمة ويصير مجموع الكلمتين والثلاث واكثر كلاماً مفهوماً مشتملاً على معنى من المعاني معلوم لولا ذلك المعنى لم يسم الحروف والكلمات كلاماً فاذا كل الحروف والكلمات محالها اللسان وكل المعاني والمفهومات[٧] محالها[٨] الجنان وبمجموع الامرين سمي الانسان ناطقاً ومتكلماً حتى لو وجدت الحروف اللسانية منه دون المعاني الجنانية سمي مجنوناً لا متكلماً الا بالمجاز ولو وجدت المعاني الجنانية منه دون الالفاظ اللسانية سمي مفكراً لا متكلماً[١] الا بالمجاز[٦] وان كان ٣٥٧ بين الموضعين فرق وهو كالفرق بين المؤمن بلسانه دون[١] قلبه وبين المؤمن بقلبه دون لسانه غير انا نسامحهم ها هنا حتى يتضح[٢] الحق من السقيم[٣] ثم نعطي[٤] كل قسم حقه

فنقول[٥] لولا مطابقة الالفاظ اللسانية معانيها النفسانية لم يكن كلاماً اصلاً بل[٦] لولا سبق تلك المعاني في النفس على العبارات في اللسان لم يمكن ان يعبر عنها ولا ان يدل عليها ويوصل اليها وهذا في حقنا ظاهر فما قولكم في حق الباري سبحانه افيخلق[٧] حروفاً و كلمات في محل ولا دلالة لها على معان[٨] وحقايق ام لها دلالة فان كان الاول فهو من احل المحال وان كان الثاني حقاً فما مدلول تلك العبارات واين ذلك المدلول ولا جايز ان يقال مدلولها علم الباري تعالى وعالميته فان العلم لا اقتضاء فيه والمدلول ها هنا يجب ان يكون[٩] اقتضاء

---

٧) ف والمعلومات — ٨) ب ف محلها — ٩...٩) ف ـ

٣٥٧ ١) ا ز المومن — ٢) ا يصح — ٣) ا في التقسيم — ٤) ب ف يعطى — ٥) ب فيقول ف فنقول — ٦) ف ز و — ٧) ا بخلق — ٨) ف المعانى — ٩) ف ز فيه —

وطلباً[١٠] والعلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به وخلاف المعلوم لا يقتضيه العلم وقد يكون من القول ما يقتضي خلاف[١١] المعلوم والعلم من حيث هو علم[١٢] يتعلق بالواجب والجايز[١٣] والمستحيل[١٤] والاقتضاء والطلب لا يتعلق بالواجب والمستحيل[١٤] وكذلك الارادة لا تصلح ان تكون مدلولة لها[١٥] فان الارادة وان تخيل فيها اقتضاء وطلب فلا يتخيل فيها خبر واستخبار ووعد ووعيد وقد تحقق في العبارات هذا ٣٥٨ المعنى وكذلك القدرة لا تصلح ان تكون مدلولة لها فانها بخاصيتها بعيدة عن الاقتضاء والطلب اعني طلب الفعل من الغير فلا بد اذا من مدلول قطعاً ويقيناً والا خلت العبارات عن المعاني وطاحت[١] في ادراج الاماني كسير[٢] السواني وذلك المدلول يجب ان يختص بالقائل اختصاص وصف[٣] وصفة حتى تستقيم الدلالة وتتضح الامارة ثم ذلك المدلول اهو واحد وحدة الموصوف[٤] او كثير كثرة العبارات[٥] او[٦] هو قديم قدم الموصوف او محدث حدوث العبارات فذلك محل الاشتباه في الموضعين ومجال النظر في الطرفين وملتطم[٧] الامواج عند التقاء البحرين[٨]

— ١٠) ف طاب — ١١) ف ز العلم و — ١٢) ا ز لم — ١٣) ف ـ — ١٤...١٤) ف ـ — ١٥) ف ز والطلب لا يتعلق بالواجب والمستحيل وكذلك الارادة لا تصلح ان تكون مدلولة لها

٣٥٨ ١) ف طلعت — ٢) ف كسر السواي — ٣) ف ووصف ب وصفا — ٤) ب ف ام — ٥) ف ـ — ٦) ب ف و — ٧) ف ملتهم — ٨) ب ف ز والله اعلم